Al-Mahdi Research Journal (MRJ)
Vol 5 Issue 3 (January-March 2024)
HJRS HEC Journal Recognition System
Category Y
ISSN (Online): 2789-4150
ISSN (Print): 2789-4142

The Role of Situationally in Textuality (A Semantic Study in the Verses of Holy Quran)

المقامية ودورها في توضيح الدلالة (دراسة دلالية في الآيات القرآنية في ضوء منهج نحو النص)

Dr. Haseeba Mumtaz

Lecturer, Department of Islamic and Arabic Studies, University of Swabi

Email: emaan02020@gmail.com

Dr. Syed Syar Ali Shah

Head, Department of Islamic and Arabic Studies, University of Swabi

Email: syaralishah@uoswabi.edu.pk

Dr. Fouzia Mir Taj

Associate Professor, Faculty of Arabic, International Islamic University Islamabad, Email: Fouzia.mir@iiu.edu.pk

Abstract

The focal point of this study lies in the exploration of situationally as a pivotal aspect of discourse and discussion, within the broader framework of seven established standards of textuality. Situational context, encompassing factors like environment, timing, and audience, plays a crucial role in shaping discussions, speeches, sermons, and addresses. This research delves into the semantic and situational nuances of Quranic verses, elucidating their relevance across varied occasions and audiences,

CC BY

ranging from the revered Holy Prophet Muhammad to diverse societal personas such as believers, unbelievers, and hypocrites. Utilizing a descriptive analytical methodology, a selection of Quranic verses has been randomly analyzed to unveil rhetorical and semantic styles within diverse contexts. The findings highlight a distinction between verses with general addresses, emphasizing unity and faith, and those with specific addresses tailored to distinct groups, each characterized by unique methods of delivery and linguistic choices. This empirical investigation serves to deepen our understanding of Quranic discourse, shedding light on its intricate interplay with situational dynamics, ultimately guiding humanity towards unity and righteousness.

Keywords: Textual Situationally, Receivers Situationality, Preaching, semantic study, context

المقامية و دورها في توضيح الدلالة و هي الموقف الخارجيّ الذي يجري فيه التفاهم بين شخصين أو أكثر، وتكون فيه العلاقة بين المتحادثين والمبادئ المشتركة بينهم والكلام السابق للمحادثة[1]، وبعض العلماء يختصرون تعريفه، فيقولون: "هو الظروف الخارجيّة المحيطة بالحدث اللغويّ"[2] فاتضح أنّ المقامية هو: كلّ ما يحيط بالموقف الكلاميّ من ظروف وملابسات لها أثر في تحديد المعنى المقصود فهو يكون المقامية. ثمّ ينقسم هذا المقال إلى نقطتين: أولا: مقامية النص. ثانيا: مقامية التلقّي. فاتضح أنّ الكلام أو النص وحده لا يحدّد الدلالة إلّا بمعونة السياق، وهو ما أدركه علماء العرب القدامى قبل قرون، وأكّدوا أهميته في إجلاء المعاني وتحديدها.

أما أهمية البحث هي أنَّ علماء الغرب أمثال دوسوسير يتضح المعيار "المقامية" أو الموقف الذي بسببه ورد النص وأثّر على المتلقي، واستعانوا في تأسيس هذا العلم الجديد بنظريات البلاغة والأدب والنقد أثناء تناولهم للنصوص، حيث أشاروا إلى المعايير السبعة لنحو النص التي لا بدّ من توافرها في النص وإلا- فحسب رأيهم- إذا فات منه معيار واحد في أيّ نصّ، فلا يبقى النص نصا، ولا يستحق أن يكون موضعا للدراسة، وتلك المعايير هي: الاتساق، والانسجام، والقصد، والمقامية، والتناص، والإعلامية، والقبول عند المتلقي. فهنا نختصر على المقامية، لأنّه معيار الذي يدور حول النص ويذكر ما في النص من المواقف والقضايا. ولا يمكن فهم أيّ نصّ إلا بدراسة هذا المعيار.

أما إصالة الدراسة هي يدّعي فرديناند دوسوسير أنّه أوّل من تكلّم عن المعايير النصية. فيقتصر هذا المقال إعتراضا على قوله باستخدام المصادر الأصلية لهم، ولعلماء العرب فضل السبق في دراسة هذا المعيار بالخصوص. ولكن الفرق في التسمية، فهم درسوا هذا المعيار تحت عنوان "أسباب النزول" أو "شأن النزول". فتناول هذا المقال دراسة دلالية للآيات القرآنية التي لها مقامية خارجية. ثم دراسة مقامية من

منظور الثقافة والمجتمع ومن منظور الفرد لم يدرس أحد من هذه الزاوية أحد قط. وهذه هي أصالة لهذا المقال.

الأسئلة التي تدور حولها هذه الدراسة التحقيقية و سعى الباحثين إلى أن يصلوا إلى النتائج المهمّة هي مما يلي:

1. ما هي القضايا التي هي مذكورة في الآيات القرآنية؟
2. ما هي المقامية للنص من منظور الثقافة والمجتمع وكذلك من منظور الفرد؟
3. ما الفرق في الأسلوبين في مقامية التلقّي؟ حين مرسل إليه يكون النبي المكرم صلوات الله عليه، أو غيره؟

قد سبق منا بعض الباحثين في هذا المجال وبحثوا عن بعض السُّور أو ما خرجوا من إطار الموضوع "المرأة في القرآن"، كما:

1. المعايير النصية بين السور المكية والمدنية دراسة تطبيقية (الأعراف والنساء نموذجا) رسالة دكتوراه للدكتور يسرى السيد إبراهيم نوفل بقسم اللغة العربية، كلية الآداب في بجامعة طنطا، مصر، 2014م.
2. المرأة في آيات القرآن الكريم دراسة في التركيب والدلالة، رسالة ماجستير لنجلاء عبد الهادي الدسوقي سعفان في كلية الآداب في قسم اللغة العربية بجامعة طنطا، مصر، 1996م.

أما أهدافنا المهمّة لهذا المقال هي كالآتي:

1. توضيح مقامية النص من ناحيتين:(1) من منظور الثقافة والمجتمع، (2) الفرد والدراسة تكون دلالية في ضوء منهج نحو النص.
2. وكذلك توضيح مقامية التلقّي في الآيات القرآنية ويكون فيه أيضا نقطتين: المرسل إليه النبي المعصوم صلى الله عليه واله وسلم وكذلك الآيات التي فيها التلقي يكون غير من الرسول المعظم.
3. أما الهدف الأساسي من كتابة هذا المقال هو تحديد الدلالة للنص القرآني بمعونة السياق الخارجي للنص.

حدود هذا المقال هو كل الآيات القرآنية التي نزلت في الظروف الخاصة، وتكون لها تلك الظروف خارج النص القرآني، أي ما ذكر الله سبحانه تلك الظروف التي بسببها نزلت الآية أو السورة في الآيات القرآنية بصراحة.

فتلك الآيات هي حدود هذا المقال. ثم يخاطب الله سبحانه وتعالى بعض الأحيان النبي مباشرة، وبعض الأحيان يخاطب الرسل الآخرون وأقوام أخرى، ثم يبيّن مدى تعالقها وترابطها في دراسة النص بأكمله والفرق في كلا الأسلوبين. وفي كلّ ذلك يُرجع إلى كتب التفاسير وكتب إعراب القرآن لكي يبيّن دلالتها.

أما منهج البحث الذي أتبعناه في هذا المقال هو المنهج الوصفي والتحليلي. سيحاول في هذا المقال تطبيق لمعيار واحد الذي هو (المقامية). ودراسة نصوص القرآن الكريم وبيان العلاقات الدلالية بين النص القرآني والظروف الخارجية. والرجوع إلى كتب إعراب القرآن الكريم والتفاسير لاقتباس المعاني وتأويلها ثم الإشارة إليها في الهامش.

قد يشتمل هذا المقال إلى أربعة مباحث و هي:

CC BY

المبحث الأول: مقامية النص من منظور الثقافة والمجتمع

المبحث الثاني: مقامية النص من منظور الفرد

المبحث الثالث: مقاميّة التلقّي و المتلقي فيه المرسل إليه خاصةً (النبي الكريم صلوات الله عليه)

المبحث الرابع: مقاميّة التلقّي و المتلقي فيه المرسل إليه الأنبياء الآخرون أو عامة الناس

المبحث الأول: مقامية النص من منظور الثقافة والمجتمع

هو السياق الذي يكشف عن المعاني الاجتماعية والثقافيّة للنص، وهذه المعاني توحي أثرها في الكلمة أو النص، ويكون خاصّا بالموقف والمقام للنص، فكلّ موقف ومقام له تعبير خاصّ والدلالات المعينة فيه. وهكذا يراعي هذا النص المعاني الاجتماعية والثقافية أيضا له.

يعتمد فيه المتكلّم على العلاقات التي تهدي إلى المعنى المراد، مثل الظروف الاجتماعية التي تحيط بالخطاب، وكذلك البيئة التي ورد فيها النص[3]، ولا يمكن أن نجد تلك الثقافة والميزات إلّا إذا قرأنا النص بتلك القرائن والأحوال والثقافة، ولكن المهم أن يكون التركيز على مقامية النص من حيث معناه الدلالي يناقش القضايا الاجتماعية والثقافية للنص.

فمثلا الكلمة: "يرحم" لها دلالات كثيرة في المجتمع العربي، فلو نقول: "يرحمك الله" وهكذا نقول: "الله يرحمه" فكلاهما تعبيران مختلفان، ولكن يبدو متشابهان في الظاهر، فالتعبير الأوّل يعني: "طلب الرّحمة في الدنيا"، والثاني: "طلب الرحمة في الآخرة"، فتبيّن من هذا مقامية النص من منظور الثقافة أو المجتمع.

فلأجل ذلك تختلف الدلالات للكلمات والنصوص باختلاف القرائن والمقام وأسباب النزول، وبالإضافة إلى ذلك، كما يقول محمد رشيد رضا: إنّ المعرفة بالبيئة العربية سواء تكون ماديّة أو معنويّة، لا تكتفي في عملية الفهم، بل من الضروريّ أن تكون المعرفة لدى القارئ عن أحوال البشر، فلو نتكلّم عن القرآن الكريم، وفيه آيات كثيرة لا يمكن فهمها بسهولة إلّا إذا قرأنا لها الموقف والمقام الخارجيّ للنص.[4]

ففي هذا المبحث يكون التركيز على دراسة مقامية خلال إطار خارجيّ للنص، فلا يمكن أن يستغني النص بدون تلك الدراسة، وإلّا فسيبقى النص في الغموض. مثلاً:

قال الله تعالى " مَنْ كَانَ عَدُواً لِلهِ وَ مَلَائِكَتِهِ وَ رُسُلِهِ وَ جِبرِيلَ وَ مِيكَالَ فَإِنَّ اللهَ عَدُواً لِلْكَافِرِينَ. وَلَقَدْ أنزَلنَا إلَيْكَ آيَاتٍ بيِّنَاتٍ وَ مَا يَكْفُرُ بِهَا إلَّا الفَاسِقُونَ"[5]

ففي هذه الآية الجملة (العدو هو جبريل عليه السلام) لا يمكن فهم هذا النص بالسهولة، ولكن لو نكتفي بالمعنى اللغوي للسياق إلّا بمعرفة قصّته، فالمقامية وملابسات نزول هذه الآية أنّ نفراً من اليهود أقبلوا إلى النبيّ محمد -صلى الله عليه وسلّم- فقالوا له أن يخبرهم عن الّذي يأتي إليه من الملائكة؟ ومن يأتي إليه بالوحي من قِبَلِ الله سبحانه؟

فأجابهم الرّسول أنّه جبريل يأتي إليه بالرّسالة، فقالوا أنّه هو الذي ينزل عليهم في موقع الحرب والقتال ويعذّبهم ويقتلهم فذاك عدوّهم، فلو كان ميكائيل يأتي إليه؛ لأنّه ينزل المطر والرحمة لاتبعوه، ثمّ رجعوا. كما

يذكر الطبريّ تأويل هذه الآية: "أن هذه الآية نزلت جوابا لليهود من بني إسرائيل، إذ زعموا أن جبريل عدو لهم، وأن ميكائيل ولي لهم".[6]

فهنا يأتي السؤال في ذهن السامع أنّ اليهود لماذا يعتقدون عن ملك واحد (وهو جبريل عليه السلام) أنّه عدوّ لهم؟ واعتقادهم أنّ الملك الآخر (الذي هو ميكائيل عليه السلام) خير لهم؟ فالجواب ما يقول القشيري في تفسيره لهذه الآية موضّحا عن هذا الاعتقاد الخاطئ: " زعم اليهود أن جبريل لا يأتي بالخير، وأنهم لا يحبونه، ولو كان ميكائيل لكانوا آمنوا به".[7]

فأنزل الله تعالى هذه الآية، أي: أنّ الله هو عدوّ للكافرين، لظنّهم أنّ الله -سبحانه- أو الرسول أو جبريل عدوّهم، ثم يبيّن مراده مزيداً في القرآن أنّ من يكفر بالآيات المبينات فأولئك هم من أهل الفسق.

فالعدوّ ليس جبريل أو الرّسول، فأنزلت هذه الآية لكي يرفض عقيدتهم وظنّهم فلهذا السبب أرسل هذه الآية، فهذا الموقع والمقام كان يحتاج إلى هذه الآية لكي يوضّح الأمر ويكذّب ظنّهم الباطل بالروح القدس.

فلاحظنا أنّ في هذه الآية مقامية تراعي الملابسات والقرائن الاجتماعية التي ليست موجودة في النص أو السياق ولكن لو نرجع إلى السياق فنفهم.

وهكذا هناك آيات قرآنية تدخل تحت هذا البحث، كما قال الله تعالى "ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ العَزِيزُ الْكَرِيمُ".[8]

المعنى الدلاليّ لهذه الآية: أنّ الآية أُنزلت في شأن أبي جهل، فيقول الله -سبحانه- له أن يذوق العذاب من قِبَلِه، فهو كان يهتمّ بعزّته وكرمه في قبيلته، فما أسلم حتى لا يعيّره أيّ واحد من عامّة الناس؛ لأنّه ترك دين آبائه وأقبل الدين الجديد وهو دين الإسلام، فقال له الله -سبحانه- أن يذوق الآن عذابه الشديد؛ لأنّه ما أسلم بسبب الناس.[9]

فيقول العز بن عبد السلام عن الغموض في النص، أن النص يرشد إلى تبيين ووضوح للغموض، فهناك كثير من المعاني التي لا تكون واضحة إلّا بمعرفة الأحداث والقرائن والملابسات التي تحيط بالنص أثناء نزوله.

ففي المقام والموقف الخاص يرد النص، وذلك المقام لا يُذْكَرُ عنه كثيرا في النص، ولكن لا يمكن إنكار تلك المقامية التي وردت فيها نصا؛ لأنّ لتلك المقامية أثر بالغ فيه، وبعض الأحيان القارئ للنص لا يفهم إلّا بعد قراءة تلك المقامية.

فعلى سبيل المثال، في هذه الآية، وردت كلمتان: (العزيز، والكريم) التي تعتبر للصفة والمدح من منظور الثقافة والمجتمع العربي، فكلّ صفة تأتي مكان المدح تكون مدحا، (وهذا واضح ومعلوم لدى القارئ)، ولكن حين تأتي صفات المدح مكان الذمّ مثلما وردت في هذه الآية، فلا تكون مدحا، بل تكون ذمّا، كما يقول الطبري عن سبب ورود هاتين الصفتين: "وردت صفتين؛ توبيخا له بذلك على وجه الحكاية".[10]

ففي هذه الآية أيضا وردت صفتا: "العزيز" و"الكريم"، وفي العرف العام تستخدم للمدح، ولكنهما وردتا في هذا النص مكان الذمّ والاستهزاء والتهكّم خلافا لما في العرف، فحينئذ ستعتبر تلك الكلمات للذم؛ لأنّها وردت في موقف الذمّ، فينتقل معناه من الصفة إلى الذمّ.

CC BY

فمقامية النص هي الآية وردت مقام الذمّ، فلهذا انتقلت كلمتان للمدح إلى معاني الذم. فبهذه الطريقة أثّرت المقامية على النص.

وهناك مقامية أخرى لهذه الآية أنّ هذه الآية نزلت في أبي جهل الذي كان عدوّا للإسلام والمسلمين، الذي كان يقول لنفسه أنّه الأعزّ والأكرم والأعلى من الجميع، كان يكابر على نفسه، فسيقال له في الآخرة أن يذوق العذاب الآن، لأنّه كان يظنّ أنّه الأعزّ والأكرم. وأيضا سيقال له أنّ الحقيقة أنّه الذليل المهين. وليس الأعزّ[11].

وكذلك يقول الله –سبحانه وتعالى- في الآية عن اللباس ونوعه الأحسن فيقول "يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزلنَا عَلَيكُم لِبَاساً يُوارِي سَوآتِكُم وَرِيشاً وَّ لِبَاسُ التَّقوَى، ذَلِكَ خَيرٌ، ذلِكَ مِن آياتِ اللهِ لَعَلَّهُم يَذَكَّرُونَ"[12]

ففي هذه الآية ناقش فيه الله -سبحانه وتعالى- عن اللباسين في هذه الآية، فإنه -عزّ وجلّ- جعل لباسين لكلّ بني آدم، ثمّ بيّن كيفيّته، فالأوّل اللباس الذي يخفي جسمه من أنظار الناس، ويزيّنه في الظاهر، والثاني هو لباس التقوى والورع والخشية من الله -سبحانه-، ثمّ بيّن أيّ اللباسين خير منهما، فقال إن الثاني الذي هو لباس الإيمان، ولباس الحياء ولباس للعمل الصالح، فكلّ الصفات تجتمع في هذه الكلمة (أي لباس التقوى)، فاتضح منه أنّ الكلمة (لباس التقوى) فيها مقامية اجتماعية، فهناك لا لباس للتقوى، فلا بدّ الكشف عن المقاميّة الاجتماعية من منظور الإسلام في هذه الآية، فالمعنى المعجمي أو اللفظي لا يكفي لشرحه، بل يجب تبيينه حتى يستقيم المعنى ويتجلّى غموضه. فهكذا ينكشف الغموض ويظهر المعنى الحقيقي بدراسة الآية من منظور المقامية الاجتماعية.[13]

ثم يقول سيّد قطب عن المقامية في التفسير بأسلوب آخر أنّ "المنهج القرآني لا يعرض توجيهاً إلا لمواجهة حالة قائمة، ولا يقص قصصاً إلا لأن له موقعاً في واقع الحركة الإسلامية".[14] فكانت القصّة التي بسببها نزلت هذه الآية الكريمة هي أنّ العرب كانوا يطوفون حول الكعبة عراة بدون اللباس، وكانوا يعتقدون أنّ الثياب مليئة بأعمالهم السيّئة، فهم ما كانوا يطوفون في اللباس. فلهذا لا يرتدون الثياب وهم يطوفون بالبيت[15].

فأنزل الله هذه الآية أنّنا أنزلنا لكم اللباس الذي يخفي عوراتكم؛ لأنّ انكشاف العورة أوّل سوء يصيب الإنسان من الشيطان، وكذلك لباس التقوى والخشية من الله في كلّ أمر، ثمّ أوضح اللباس الثاني وهو أهمّ وأكثر ضرورةً للإنسان من الأوّل. فهذه هي المقامية من منظور المجتمع.

المبحث الثاني: مقامية النص من منظور الفرد

ففي هذا المبحث يكون التركيز في الآيات القرآنية على الفرد أو النفسيّة ودوره الذي يتعلّق به. وهو يختلف من مقامية النص من منظور الثقافة والمجتمع، وذلك لأنّ في المبحث الأوّل كان التركيز على الثقافة والمجتمع وعلاقته بالنص. لأنّ النص وحده لا يمكن فهمه بسهولة إلّا إذا تعرّفنا على الأحوال المحيطة به.

ولكن التركيز على الفرد أيضا أمر مهمّ، والدراسة فيها تدور حول الفرد أو النفسية، فندرس في هذا المبحث أنّ النصّ يتقبّل الأثر بسبب الفرديّة إلى أيّ حدّ، أو بأسلوب آخر كم تدخّل الفرد أو النفسية على النص،

وبسببه تغيّر المعنى أو ورد النص في الموقف، وذلك يمكن التعرّف عليه فقط إذا راجعنا إلى كتب التاريخ أو السيرة أو التفاسير التي ناقشت هذه النقطة المهمّة أن الله -سبحانه- أنزل هذه الآيات فيمن من الناس؟

فستبقى هذه النصوص غامضة، وسيبقى هؤلاء الأفراد في الغموض فيمن أشير عنهم سواء بذكر قول حسن أو سيّء عنهم وفيهم، حتى ندرس من هذه الزاوية فسيتجلّى الغموض. فمثلا في القرآن الكريم نزلت كثيرٌ من الآيات القرآنية بسبب الفرد، وهو غير موجود في النص بصراحة، ولكن ليس معناه أنّ الفرد غائب في النص، بل نقرأ المقام والموقف الخارجي حول الفرد فنفهم المعنى المراد، ولو نعرض عنه فسيختلط المعنى. فاتضح أن يكون فيه التفاعل بين الفرد في الأداء وهدف الأداء، فهذه الطريقة نصل إلى فهم المقام. فإذا نلتقي بالنص دون معرفة الفردية أو النفسيّة وتأثره في النص، فلا نصل إلى المعنى المراد. فمعرفة الفرد أمر ضروري لأيّ نص أدبيّ.

كما هناك آية وردت في القرآن فيها ذكر الله سبحانه عن الفرد. فيقول الله سبحانه و تعالى "عَفَا اللَّهُ عَنكَ لم أَذِنتَ لهَم حَتَّىَ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَ تَعلَمَ الكَاذِبِينَ"[16]

نزلت هذه الآية في بعض المنافقين حين تخلّفوا عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- واستنفر النّاس لغزوة تبوك، وكانت تبوك بعيدة عن مدينة الرسول، والسفر كان شاقّا إلى هناك، فتزلزل إيمان المنافقين، وظهر النفاق في قلوبهم بالتخلّف عن الجهاد مع رسول الله -صلى الله عليه وسلّم-. فلأنّ السفر لو كان قصيرا، لاقتنعوا في السفر طمعا في الغنيمة الحاضرة، ولكن الرسول استنفرهم إلى موقع بعيد فأرادوا التخلّف عنهم، واستأذنوا الرسول بحِيَلٍ مختلفةٍ[17]، وأَذِنَ لهم -صلى الله عليه وسلّم-، فنزلت هذه الآية -عزّ وجلّ- في المنافقين، وهذه هي مقاميّة فرديّة، أن الآية قد نزلت بسبب الفرد أو النفسية.

فلو لم نراجع كتب التاريخ والتفاسير أو السيرة، لما أمكن فهم النص من منظور الفرد في هذه الآية. وهذه هي القرينة على معنى السّياق. فدراسة المقامية الفردية أيضا أمر مهم لفهم النصّ الأدبيّ.

وهكذا هناك آية قرآنية أخرى فيها ذكر عن الفرد، المقام يدلّ على ذلك، كما قال الله تعالى "قَد سَمِعَ اللَّهُ قَولَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوجِهَا وَ تَشتَكِي إلى اللهِ، وَاللَّهُ يَسمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ" [18]

نزلت هذه الآية في امرأة من الأنصار، اسمها خولة بنت ثعلبة، التي جاءت إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلّم- وكانت تشتكي في زوجها، وكانت تجادل رسول الله أن ينظر في أمرها؛ لأنّ زوجها ظاهر منها، كما يقول ابن عاشور عن المرأة التي فيها نزلت الآية القرآنية هذه: "الْحُكْمُ فِي قَضِيَّةِ مُظَاهَرَةِ أَوْسِ بْنِ الصَّامِتِ مِنْ زَوْجِهِ خَوْلَةَ."[19] كما يقول سيد طنطاوي ويذكر قول سيدتنا خولة بنت ثعلبة: "خولة بنت ثعلبة قالت: فيّ والله وفي زوجي أوس أنزل الله بداية سورة المجادلة".[20]

ولها أولاد صغار، فلو يقع الطلاق فسيضيع أولادها، ولو تريد العيش معه فستقع في المعصية، فسكت وأعرض عنها ثلاث مرات بعد قولها؛ لأنه أيضا كان يظنّ الطلاق قد وقع عليها، فنزل عليه الوحي، فبعد الوحي طلب زوجها وقرأ عليه هذه الآية والآيات التي تأتي بعدها.

CC BY

فالفرد الذي نزل في هذه الآية هي: خولة بنت ثعلبة وزوجها أوس بن صامت، ويبيّن هذه الفردية علماء التفاسير، وكذلك عرفنا من خلال أقوال الصحابة هذه الفردية، فهذه هي الظروف الخارجيّة المحيطة بالحدث اللغويّ، فبدون تحريك القرينة الفرديّة، سيبقى النص غامضا إلّا إذا قرأناه من هذه الزاوية.

ثم هناك آية أخرى في القرآن التي فيها المقامية، ونزلت الآية بسبب الفرد الخاص، مع أنّ ذكره غير موجود بصراحة في النص، فلا يمكن فهم النصّ إلّا بالرجوع إليه، " الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ"[21]

نزلت هذه الآية في سعد بن الربيع وامرأته حبيبة بنت زيد بن أبي زهير، وهما كانا من الأنصار. فنشزت الزوجة عليه، فلطمها، فذهبت الزوجة مع أبيها إلى الرسول -صلّى الله عليه وسلّم-، وطلبت القصاص من زوجها، فأذنها الرّسول -صلّى الله عليه وسلّم- لتقتصّ منه، فحين انصرفت من عند الرسول فنزلت هذه الآية (الرجال قوّامون على النساء)، فناداها الرسول مرّة أخرى حتى ترجع إلى النبيّ، ثم أخبرها النبيّ أنّه أراد أمرا وشاء الله أمرا آخر. والله ما يريد، فهو أفضل وأحسن.

ثمّ أخبرها أنّ الله -سبحانه وتعالى- أنزل هذه الآية أنّ الرجال قوّامون على نسائهم، وأرسلها النبي إلى بيت زوجها، ومنعها من القصاص، ونصحها أن تصبح مطيعة لزوجه في أمور الدين. فلو تمنع الزوجة من الطاعة، فيمكن له أن يضربها ضربا غير مبرحا، تأديبا لا تنافرا. وللرجل على الزوجة فضل بسبب نفقته وسعيه.[22] كما يبيّن الجصّاص في تفسيره: "تَفْضِيلُ الرَّجُلِ عَلَى الْمَرْأَةِ فِي الْمَنْزِلَةِ وَأَنَّهُ هُوَ الَّذِي يَقُومُ بِتَدْبِيرِهَا وَتَأْدِيبِهَا"[23]

فاتضح أنّ الله سبحانه أنزل هذه الآية بسبب الفرد. فلو لا نقرأ هذا التاريخ، والسبب لنزول الآية، فلا يمكن أن نصل إلى المعنى المراد. فهذه المقامية هي خارجة من النص، وليس مذكورا في نص الآية بصراحة. ولكن لا يمكن أن نغفل من الأمور الخارجية لأيّ سياق. لأنها تزيل الإبهام والشك في ذهن السامع. ويبيّن المعنى الحقيقي لهذه الآية.

فلو لم تكن كتب التفاسير والسير والتاريخ لما اتضح هذا المعنى والفردية أو النفسية في النص القرآني. والمعرفة لها أمر ضروري للغاية؛ لأنّ النص كلّه يتعلّق بالفرد وأمره، فهذه القرينة (المقامية من منظور الفرد) تجعل النص مرتبطا بموقف سائد يمكن استرجاعه، فهذه الطريقة يحسم نحو النص الأمر من خلال رعاية الموقف أو المقامية من منظور الفرد حتى يتضح المعنى المراد.

مقاميّة التلقّي:

في المبحث نناقش عن المتلقي ودوره الفعّال في النص الأدبيّ، فهو الذي يدقّق في المعاني،ويخوض فيها ويكشف الدلالات، ويتّضح كلّ الطبقات،حتى يصل إلى المعنى المراد، فعلى سبيل المثال، لو نقرأ الجملة"ضرب الطفل الكرّة"، ففي هذه الجملة هناك فراغات كثيرة لا يمكن أن نحصيها، فلا نعرف كم عمر

الطفل؟ وهل هو ذكر أم أنثى؟ أحمر أو أسود البشرة أو أبيض؟ وغير ذلك من الأسئلة التي تكون غامضة ومبهمة، فهنا يبدأ دور القارئ، فهو يحاول أن يجد تفسيرا لكلّ هذه الأسئلة حتى يزيل الغموض.

فهذه الطريقة يؤثّر القارئ على النص ويتأثّر منه، فالنص الغامض والمبهم يحتاج من المتلقي أن يحدّد معناه، ثمّ يستعمل عقله ويملأ الفراغات ويبحث أجوبة لتلك الأسئلة.

فاتضح أن النص: عبارة عن مجموعة الكلمات والذي ينقل الفكر والذهنية للمؤلف إلى القارئ، ثم القارئ يأخذ منه المعاني حسب فهمه وتعبه، ومقامية التلقي هذه أيضا أن يرد النص بسبب الظروف والملابسات المعيّنة، ويكون فيه دور فعّال للمتلقّي.

ينقسم هذا الفصل إلى نقطتين: أوّلا: مقامية المرسل إليه (النبي -صلى الله عليه وسلّم)، ثانيا: مقامية الرسل إليه (النبي وغير النبي)، ففي المبحث الأوّل المتلقي هو النبي محمد -صلى الله عليه وسلّم-، والذي بعث الله الرسالة (القرآن) إليه، فإطاره يحيط كلّ الآيات التي تتعلّق بالنبي، ويأمر الله فيها نبيّه محمّداً -صلى الله عليه وسلّم-.

فستكون دراسة المقامية في الآيات التي فيها خاطب الله سبحانه رسوله، فهو متلقي في تلك النصوص، فاخترت الآيات التي فيها خطاب مباشر من قِبَلِ الله لنبيّه محمد -صلّى الله عليه وسلّم-، وفي المبحث الثاني: المتلقي هو الأنبياء الآخرون الذين خاطبهم الله أو كانوا عامة الناس.

المبحث الثالث: مقامية المرسل إليه النبي صلّى الله عليه وسلّم

تشمل في هذا المبحث الآيات التي فيها يكون الخطاب للنبي محمد -صلّى الله عليه وسلّم-، فهو الذي يكون التلقّي -سواء كان الخطاب مباشرا به أو لم يكن مباشرا به-؛ لأنّ الرسالة -القرآن أو الآية نفسها- أرسلت إليه، فهو المرسل إليه في كلّ الآيات التي تأتي بعدها للتحليل، فكما يقول الله سبحانه في القرآن الكريم " يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ حَسبُكَ اللهُ وَ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ المُؤمِنِينَ" [24]

المعنى الدلاليّ لهذه الآية: أنّ الله يقول لنبيّه محمّد -صلّى الله عليه وسلّم- أن لا يحزن ولا يقلق عن الإسلام وأمّته، فالله كافٍ له ولأمّته. وهو سيحفظهم من كلّ سوء؛ لأنّ الله كاف لنبيّه ولعباده المؤمنين. حتى لا يخافوا بكثرة عدد الكافرين وقلّة عدد المسلمين، فالله مؤيّد لنصر المسلمين.

ولكن ليس معنى لهذه النصرة أن يتكل المسلم على هذا؛ بل النصر من الله سيكون معه بشرط أن يبذل جهده، وينفق ماله، ويسبر غوره في خدمة دينه. فبعد ذلك عليه أن لا يحزن، فستكون نصرة الله معه.

هذه الآية نزلت يوم أسلم سيدنا عمر -رضي الله عنه-، فظلّت مقروءة بدون أن تُدرَجَ في السورة، فالآية كانت مكّية، ثم وقعت في سورة الأنفال بعد غزوة بدر بإذن رسول الله، وفي سورة مدنيّة، فأدّت دور التمهيد في أمر المؤمنين للجهاد في سبيل الله. كي يحققوا كفايتهم الرّسول -صلّى الله عليه وسلّم-[25].

فالمقامية أنّ عدد المسلمين حين أصبح تسعة وثلاثين رجلا، ثم أسلم سيدنا عمر -رضي الله عنه- فصار العدد أربعين، فنزلت هذه الآية: " يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ حَسبُكَ اللهُ وَ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ المُؤمِنِينَ".[26]

CC BY

وفي رواية: أنّ العدد في ذلك الوقت وصل إلى ثلاثة وثلاثين رجل وستّ نسوة، ثمّ أسلم عمر، فبعد ذلك نزلت هذه الآية.

وهناك آية أخرى فيها مقامية والمرسل إليه هو النبي -صلى الله عليه وسلّم-، فيقول الله سبحانه " وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ"[27]

فالمقامية لهذه الآية: أنّها نزلت عند هلاك أكبر منافق، وهو كان رئيس المنافقين في حياته، فقدم ابنه الذي كان مسلما مخلصا لدين الله إلى مجلس رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم-، فطلب منه أن يعطيه قميصه حتّى يكفنه فيه، ويصلّي عليه ويستغفر له فربما يغفره الله له، فحين سمع ذلك سيدنا عمر بن الخطّاب -رضي الله عنه-، فذكّره الآية القرآنية "اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ"[28] يعني لو يدعو الرسول في حقّ المنافقين دعاء المغفرة ويزيد إلى سبعين مرّة أو لا يدعو تماما، فهو لله سواء عنده؛ لأنّه لا يغفر لهم لنفاقهم في الإسلام ومع المسلمين، فهو عمل قبيح ولا تكون لهم أيّة مغفرة، فأجابه رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- أنّه بين الخيرتين، فلو قال الله -عزّ وجلّ- أنه يغفر له بعدما صلّى عليه الرسول واحد وسبعون مرّة لفَعَلَ لمغفرته، ثم صلّى عليه، فحينئذ نزلت هذه الآية[29]. فما صلّى رسول الله -صلى الله عليه وسلّم- على منافق بعده ولا قام على قبره.

وهناك مقاميّة أخرى لهذه الآية: أنه قال لسيدنا عمر أنّ صلاته وقميصه لا يغني عنه شيئا، فربما يؤمن مِنْ أولاده وعشيرته آلاف[30]. كما يقول الزجاج في تفسيره: "إن قميصي لن يغني عنه شيئاً من اللَّه، وإني أرجو من اللَّهِ أن يَدْخُلَ في الإسلام خلق كثير بهذا السبب"[31] ثمّ أسلم من قبيلته ألف وصلّوا عليه.

فهذه هي الخلفية والمقامية لهذه الآية، ولها صلة قويّة بالآية لتوضيح معناه، فلو لم نهتمّ بالمقامية لظلّ المعنى في الغموض. وكما يقول الله سبحانه وتعالى "يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ".[32]

ففي هذه الآية خاطب الله نبيّه محمّد -صلّى الله عليه وسلّم-؛ لأنّه مرّة دخل بيت السيدة حفصة -رضي الله عنها- فذهبت إلى الخارج، وكانت هناك جاريته سيدة مارية القبطية -رضي الله عنها-، فواقع بها، فحين رجعت السيدة حفصة وعلمت بذلك؛ غضبت غضبا شديدا، فقال لها رسول الله أن تكتم هذه القصّة من الزوجات الأخريات، وحلف أنّه لن يدخل بمارية أبدا.

فحينئذ أنزل الله -سبحانه وتعالى- هذه الآية أنه لماذا يحرّم على نفسه ما أحلّ الله له؟!، فالجماع بالجارية حلال للرجل، وهو كان الرسول، ثم حرّم ما أحلّه الله له، فما أحبّ الله أن يحرّم ما هو حلال له فقط أن ترضى زوجاته منه.[33]

ففي هذه الآية نوع من العتاب حتى لا يكرّر ذلك -أي: يحرّم على نفسه ما أحلّه الله لمرضاة الزوجات-، وأوجب أداء الكفارة ليمينه، والكفّارة هي إطعام عشرة مساكين، أو فكّ الرقبة. فأوضح الله أن الحلال لا يحرم إلى بتحريم الله تعالى له.[34]

فلاحظنا أنّ هذه هي المقامية, وهذا هو الموقف الذي بسببه نزلت الآية، فهناك رابط قويّ بين الآيات وظروفها، ولا يمكن فهم أي نصّ بدون قراءة ظروفها وملابساتها الخارجيّة والدّاخليّة، فالعلم بها أمر ضروري كي يزيل عنه الغموض؛ لأنّ النص لا يتكوّن كنصّ ذو معنى إلّا إذا يكون خلفه عامل قويّ، فلو يكون ذلك العامل يذكر بعض الأحيان في النص، وبعض الأحيان لا يُذكر في النص، فتبقى للنص ظروف خارجية، فالمتلقي أو القارئ لا يفهم ذلك النص الأدبي إلّا بعد أن يدرس خلفيته.

ويمكن لنا أن نقول كلمة "مرجعيّته"، فالمرجعيّة حين تكون في النص، فتلك تكون من باب الإحالة، وحين تكون خارج النص، فتكون مقامية خارج السياق.

المبحث الرابع: مقامية المرسل إليه الأنبياء الأخرون أو عامة الناس

هناك الآيات التي تخاطب المرسل إليه غير نبيّنا محمد صلى الله عليه وسلّم، بل فيه خطاب بالرسل الآخرين، أو أصحاب الإيمان، أو عامّة الناس، أو المنافقين، أو المؤمنين، أو الكافرين. فتكون دراسة مقامية في تلك الآيات وله تأثير قوّي على النص.

فمثلا لو يكون الخطاب متعلّقاً بعامة الناس، فيخاطبهم الله بقوله: (يا أيّها الناس)، وحين يكون الخطاب للمؤمنين، فيذكر عن صفاتهم وعن أعمالهم الصالحة، ويعدهم بالجنّة، وستكون لهم الصحبة مع الأبرار والأنبياء والصالحين، وهكذا حين يكون الخطاب خاصّاً بالرسل، فيخاطب كلّ واحد حسب رسالته وأداء فرائضه، ويذكر معجزاته. فهذه هي مقامية المرسل إليه في النصوص التي تخاطب غير خاتم النبيين. فمثلا هناك آيات كثيرة فيها خطاب من كل بني آدم، فنرى مقامية في هذه النصوص.

كما قال عزَّ وجلّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ.[35]

المعنى الدلالي لهذه الآية: أنّ الله -سبحانه- أراد أن يؤدّب المسلمين، فلهذا يعلّمهم طريقة الخطاب ما بينهم وعند الكلام برسول الله -صلى الله عليه وسلّم-، وثانيا كان في تلك الطريقة يشابه المسلمون مع اليهود، فكره ذلك سبحانه لعباده الأتقياء أن يشابهوهم حتّى في شيء بسيط، وثالثا أنّ كلمة (راعنا) السبّ والشتم في لغتهم، فكره الله أن يستخدمها المسلمون ما بينهم حتى لا يضحك اليهود عليهم وهم بها ينادون الآخرين.[36]

والمقامية لهذه الآية أنّ كلمة (راعنا) معناها (أنظرنا) في العربيّة، وفي لغة اليهود كان ذلك يُستخدم للسبّ والشتم، فحين استخدمها المسلمون لرسول الله، فكانت نيتهم صادقة، ولكن فرح اليهود وقالوا ما بينهم أنّهم كانوا يسبّونه مخفيًا، ولكن بهذه الكلمة التي هي رائجة ومستخدمة عند العرب فالآن يمكن أن يسبّوه إعلانا.[37]

فحين فعلوا ذلك ونادوا رسول الله براعنا ضحكوا ما بينهم مستهزئين ومطمئنّين أنه -صلّى الله عليه وسلّم- لا يعلم، ففهم ذلك صحابي جليل اسمه سعد بن عُبَادَةَ؛ لأنّه كان يعرف لغة اليهود، فغضب عليهم ومنعهم وهدّدهم أنّهم لو قالوا مرة أخرى فسيضرب أعناقهم، فحينئذ أنزل الله هذه الآية[38]، فهذه هي المقامية لهذه الآية، فهناك ربط قويّ بين الآية والمقامية، ولا يمكن فهمها إلّا من كتب التفاسير، فهكذا علّم الله عباده أن يستخدموا ما بينهم من العبارات الحسنة أو مع نبيّهم.

CC BY

فالمقام والموقف كان يحتاج لنزول الآية بهذا السياق؛ لأن المقام كان يحتاج ذلك، فهذه هي المقاميّة، ولا يمكن فهم مضمون الآية إلا بعد دراسة مقاميتها. وهناك آية قرآنية أخرى فيها يخاطب نبيّه ولكن الرسالة للكفار، فالمتلقي هم الذين كفروا، فيقول الله سبحانه "قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ".[39]

المعنى الدلالي لهذه الآية: أنّ يهود المدينة لمّا رأو غزوة بدر، أرادوا أن يسلموا؛ لأنّهم ظنّوا أنّ الراية لرسول الله لا ترد، وهو سيقاتل مع الناس، وتكون له منزلة عظيمة في الدنيا، فأرادوا أن يكونوا معه حتّى يكون لهم أيضا شأن عظيم في الدنيا.

ولكن في نفس الوقت قال واحد منهم أن يبطّؤوا في الأمر، وينتظروا قليلا كي يلاحظوه في وقعة أخرى، فلو نجح فسيكون له ملك عظيم، وملكه سيكون ملكهم حسب ظنّهم، وبعد غزوة أحد شكّوا في رسالته، ونقضوا عهد الصلح الذي كان بينه وبين رسول الله -صلى الله عليه وسلّم-، وانطلقوا إلى قريش وصلحوا معهم، فنزلت هذه الآية فيهم.[40]

فهذه هي المقامية لهذه الآية، أنّ من يكفر بدين محمد -صلى الله عليه وسلّم-، فهو الّذي سيدخل في جهنّم وهو أسوأ مكان من حيث العذاب، فبدون فهم هذه المقامية، يأتي سؤال في الذهن: من الذي كفر؟ وما كان كفرهم؟ فالجواب هو فهم مقامية هذه الآية، فالسياق يكون حسب المقام.

والتلقّي الأوّل هو النبيّ محمد -صلّى الله عليه وسلّم- أن يبلّغ رسالته للتلقّي الثاني، وهم الّذين كفروا، والآية فيها ذكر عن الكفّار وكذلك المقام والموقف أيضا يتعلّق بهم والآية أنزلت فيهم -أي الكفار- فلهذا السبب أدخلت هذا المثال في المبحث الثاني الذي هو مقامية المرسل إليه النبي وغير النبي؛ لأنّ الرسالة موجّهة إلى الكفار.

وهناك مقامية أخرى لهذه الآية أنّها نزلت في قريش قبل غزوة بدر، ثمّ حقّقه الله بما وعد يوم بدر، فهزم الكفّار مع أن عددهم كان كثيرا في ذلك اليوم، ونجح المسلمون مع قلة عددهم، وغلبوهم. فلا يمكن فهم النص إلّا بعد دراسة المقامية. وإلّا فسيظلّ المعنى في الغموض.

ومن مصاديق ذلك، قوله تعالى في آية أخرى، "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ".[41]

ففي هذه الآية حرّم الله الخمر والميسر الذي تتياسرونه ما بينهم، وكذلك الأنصاب التي تذبحون باسمهم، والأزلام التي تستقسمون باسمها إثم كبير ونجس ويسخط الله به، فهو من أعمال الشياطين الذي زيّن تلك الأعمال القبيحة في عيونهم، فيقول الله للمسلمين أنهم لو يؤمنون بالله فعليهم أن يتركوا تلك الأعمال، لكي يدركوا الفلاح عند ربّهم.

ففي هذه الآية حرّم شرب الخمر، ففكّر بعض الصحابة عن إخوانهم المسلمين الذين كانوا من أهل التقوى ولكنهم شربوا الخمر في حياتهم ولم تنزل الآية لحرمة شرب الخمر، فسألوا رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- عنهم، فحينئذ أنزل الله سبحانه الآية التي هي بعدها"لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا

CC BY

طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ".[42]

ففي هذه الآية بيّن تلك الإشكالات، فهنا بدأ دور المقامية يتمثّل في شأن النزول حتى يزيل هذا اللبس.

فالمفسّرون أوضحوا في تفاسيرهم مقامية هذه الآية الثانية أنّ هناك بعض الصحابة ماتوا وكان في بطونهم خمرا، أي شربوا الخمر في حياتهم، فأدّت هذه الآية دور الوضوح ليزيل شكوكهم، أنّ الذي شربوا الخمر قبل نزول هذه الآية وقبل حرمة الخمر فلا خوف عليهم وكذلك لا جناح عليهم.

فلو ما كانت دراسة المقامية واهتمامها لأخطأ الناس في فهم هذه الآية، وكانوا يحتجّون بهذه الآية ويفسّرون تفسيرا خاطئا على جواز شرب الخمر، فدراسة نصّية وخاصّة الدقة والفهم على كل الظروف والملابسات والقرائن تحيل إلى المعاني الكثيرة التي تحوّل النصّ إلى معناه الأصليّ، ويحتاج من المتلقي أن يدقق في الأمر، ولو يعرض عنه فربّما يخطئ أو يقع في اللبس.

ثم في هذه الآية خطاب خاصّ بالمسلمين والمتقين، وليس للكفّار والملحدين، لأنّ من لا يؤمن بذاته -سبحانه-، فكيف يقتنع للحرام والحلال؟!، فيفعل ما يشاء. ولكن الخطاب خاص بالمؤمنين فلهذا أنزل الله الآية والحكم وخاطب المؤمنين فقط، دون الذين لم يؤمنوا.

وكذلك هناك آية أخرى فيها خطاب عام، وهو خطاب لغير النبي محمد صلّى الله عليه وسلّم "تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ".[43]

المقامية لهذه الآية أو السّورة كلّها: أنّ رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- صعد على الصفا مرّة، ونادى قبيلته، وأتت إليه قريش، واجتمعوا له، وسألوه عن السبب الّذي جمعهم الساعة؟ فقال إنّه لو يخبرهم عن عدوّهم الذي سينزل عليهم إمّا في الصباح أو المساء، فهل هم يصدّقون؟ وفي رواية أخرى قال إن العدو قد وصل خلف هذا الجبل عليهم، فما رأيهم؟ أنهم يصدّقون أم لا؟ فقالوا: نعم؛ لأنه عندهم صادق وأمين. فقال إنّه ينذر كلّ الناس من عذاب عظيم سيلحقهم بسبب كفرهم بالله.

فغضب الجميع وحينئذ قال عمّه أبو لهب أن يكون تبّا له على أنّه جمعهم لهذا، كي يترك الناس دين الآباء. فنزلت هذه الآية، وخصّ ذكر اليدين للهلاك، وذلك لأنّه كان يرمي رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بالأحجار، فلهذا خصّه الله أيضا للهلاك به، أن يهلك وتهلك يداه، فهذه هي المقامية لتخصيص اليدين.[44]

فعرفنا المقامية من خلال مراجعة إلى كتب التفاسير أنّ هناك ربطاً بين مقامية النص والنص ذاته، ولا يمكن فهم أيّ نصّ أدبي إلّا إذا عرفنا سياقاته الداخلية والخارجية معا، وإلّا سيرتبك المعنى والغاية من النص، أن يصل إلى ذهن القاري ويفهمه، سيبقى في الغموض.

و نأتي المثال في هذا الصدد الموافق للموضوع هو الآية الكريمة كما قال الله عزّ وجلّ " قُل هُوَ اللهُ أحَدٌ...كُفواً أحَدٌ" نزلت حينما جاء إلى النبي الكريم زعماء من قريش و قالوا لنا الآلهة و ليس لهم القدرة أن يكملوا أمورنا اليومية، فعرّف ربك الذي أنت تهدينا، فنزلت الآيات تحت البحث. فقام الرسول صلى الله عليه وسلم و أعلن أمامهم إنَّ ربي واحد، هو المتفرد في الربوبية و الألوهية لا يشركه بالأسماء كما لاتري المثال في صفاته، ليس

له المماثل في الذات و لا مشابها أحدٌ من خلقه و كما ليس له كفءاً و هو القادر المطلق لا يحتاج إلى المشاورة و هو الذي يُقصده الخلائق في قضاء الحوائج و الرغبات.[45]

فمقام البحث هو المقامية نأخذ معناها الأصلي بعد ما رجعنا إلى التفاسير و درسنا من سبب نزول السورة التي تسمى بالإخلاص، فوجدنا الربط الوثيق بين نص السورة و المقامية كما عرفنا من سياق الكلام و لا بُدَّ من معرفته لكي لا يشوِّش ذهن القارئ من فهم المعنى و الغرض الذي سيق له الكلام و الدلالة على مفهوم المراد.

الملخص والنتائج

وصل هذا المقال بعد تكميل الدراسة إلى النتائج الآتية:

1. إنّ في كلّ هذه الآيات خطاباً عامّاً مثلما يقول الله سبحانه: (يا بني آدم) أو: (يا أيها النّاس)، فهذا الحكم عامٌ، فيكون التركيز في هذه الآيات أن يتوحد الناس ويؤمنوا به، فالتوحيد والإيمان به أوّل خطوة وأمر ضروري للدخول في الدين، فلهذا ركّز على بيان معجزاته، وذكر عن الكون والأرض ومخلوقاته، وحذّر من الإتباع للشيطان.
2. أمّا هناك الآيات التي فيها خطاب بشخصية خاصّة، مثل: الرسل أو المؤمنين أو الكافرين والمنافقين، ففيه طريقة الأداء واختيار الكلمات، وهكذا الرسالة والحكم خاصّ بهم.
3. فلو ندقق في النصوص القرآنية فلكلّ طبقة أساليب خاصّة، فمثلا: الأسلوب الذي استخدم للأنبياء فما دعاهم الله إلى الإيمان والتوحيد، لأنّهم كانوا يؤمنون بالله -عزّ وجلّ-، فأعطاهم الرسالة كي يوصلوها إلى عباده ويدعوهم إلى الحق، وهكذا ذكّرهم المعجزات الكبرى لله في هذا الكون، كي يقدّموا أمام عباده كالدليل.
4. وهكذا حين تكلّم الله سبحانه مع المنافقين فذكّرهم عن مرض النفاق الذي هو في قلوبهم، فهم يظهرون أنهم مع المؤمنين، ولكنّ الله يعلم الغيب ونفاقهم، ثم يحذرهم أن يوقفوا النفاق، وإلّا فسيكون مأواهم جهنم، وهو بئس المكان، وهم من قوم أهل الفسق والكذب.
5. فلاحظنا الفرق في الخطاب لكلّ مجتمع و جماعة، ففي الكلمات فصاحة، وفي المعاني مناسبة، وفي اختيار الكلمات دقة، وفي النظم القرآنيّ جذابة، وفي الكلمات تماسك، فهو من أقوى النصوص متماسك منسجم الكمال في التعبير. أمّا المقامية لكلّ آية تكون مختلفة حسب متطلّبات الموضوع.

**(الهوامش (*References*

---

1 الخولي محمد على، معجم علم اللغة النظريّ، مكتبة بيروت لبنان، 1982م، ص 84.

Al-Hawli Muhammad Ali, Mu`jim Ilm-ul-lughah Al-Nazari, Maktaba Beurut Lubnan, 1982, p 84.

[2] خضير محمد أحمد، الدلالة والتركيب،دار الزهراء بالقاهرة، 1993م، ص 124.

,Khuz`air Muhammad Ahmad, Al-Dilalah wa Tharkeeb, Dar Al-Zahr`a Qahira, 1993, p 124

[3] حمودة طاهر سليمان، دراسة المعنى عند الأصوليين، الدار الجامعيّة الإسكندريّة، 1997م، ص 214.

Hamu`da Tahir Sulaiman, Dirasah Al-Ma`na inda Usuleen, Dar Al-jami`a Iskandarey`a, 1997, p 214

[4] جمادي إدريس، الخطاب الشرعي وطرق استثماره، المركز الثقافيّ العربيّ بيروت، 1994م، ص 164.

Jama`di Idrees, Al-Khita`b Al-Sharai wa Thuruq Isthithma`rih, Markaz Al-thaqafi Al-Arabi Beurut, 1994, p 164

[5] سورة البقرة: 97.

Surah Al-Baqarh: 97.

[6] الطبري محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، المعروف بتفسير الطبري، ت: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة بيروت، ط 1،2000 م. 377/2.

Al-Tibari Muhammad bin Jareer, Jami`ul Baya`n fi Ta`veel ul Qura`n, Mu`asisa Al-Risala Beurut, 2000, V .2, P 377

[7] القشيرى عبد الكريم بن هوازن، تفسير القشيريّ،الهيئة المصرية العامة للكتاب مصر، ط 3، 108/1.

Al-Qush`airi Abdul Kareem bin Hawa`zin, Tafseer Al- Qush`airi, Al-Hai`a`t al- Misreya Egypt, 1/108.

[8] سورة الدخان: 49.

Surah al-Dukha`n: 49.

[9] العكبري أبي البقاء عبدالله بن الحسين، تفسير التبيان في إعراب القرآن، عيسى البابي الحلبي وشركاه، 1149/2
النسفي عبدالله بن أحمد، تفسير مدارك التنزيل وحقائق التأويل، دار الكلم الطيب بيروت، 295/3

Al-Abkari Abu Albaqa`a Abdullah bin Hussain, Tafseer al-Tibya`n fi Iarab -e-al-Qur`an, Maktaba al-Baba`bi, 2/1149.

Al-Nasafi Abdullah bin Ahmad, Tafseer Madarik al-Tanzeel wa Haqa`iq al-Ta`weel, Dar al- Alkalim al-Ty`ib Beurut, 3/295.

[10] تفسير الطبري، 49/22.

CC BY

Tafseer al-Tibari, v22, p49.

[11] ابن قيم الجوزي محمد بن أبي بكر بن أيوب، بدائع الفوائد، دار الكتاب العربي بيروت لبنان، 1314/4.

Ibn-e-Qay`em al-Jawzi Muhammad bin Abu Bakar, Bada`I al Fawa`id, Dar al Kitab al Arabi Beurut, v 4, p 1314.

[12] سورة الآعراف: 26.

Surah al-Aara`f: 26.

[13] تمام حسان، كتاب إجتهادات لغويّة، عالم الكتب القاهرة، 2007م، ص 240.

Tama`m Ihsa`n, Kitab Ijtih`da`t Lughviya, A`alam ul Kuthib al Qahira, 2007, p 240.

[14] سيد قطب، في ظلال القرآن، 3/1277

Syed Qutub, Fi Zil`l ul Quran, v 3, p 1277.

[15] تفسير البيضاويّ، 9/3، الثعلبي أحمد بن محمد، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان، 2002 م،17/3. الدرّ المنثور، 433/3. أبو العباس أحمد بن محمد، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، دار العلم القاهرة، 1419 هـ، 2/207.

Tha`labi Ahmad bin Ahmad, Al- Kashaf wal Baya`n a`an Tafseer -e- al Bay`an, Tafseer al Bez`avi, v3, p9. Da`ar Ihya a Tura`as al- Arabi, Beurut, 2002, v3, p17. Al-Du`rr al Mansour, v3, p433. Abu al Abbas Ahmad bin Muhammad, Al-Bahrul Madeed fi Tafseer al-Qura`an al-Majeed, Da`ar ul Ilam Al-Qahira, 1419H, v2, p207.

[16] سورة التوبة: 43.

Surah al-Tawba: 43.

[17] تفسير في ظلال القرآن، 1661/3.ابن عاشور محمد طاهر بن محمد، التحرير والتنوير،الدار التونسية تونس،1984م، 10/210. بيان المعاني، 6/438.

Ibn-e-A`Ashur Muhammad Tahir bin Muhammad, Al-Tahreer wa Tanveer, .Fi Zil`l ul Quran, v 3, p 1661 Al-Da`ar al-Tunasiya Tunus, 1984, v10, p210. Bay`an al-Ma`ani, v6, p438.

[18] سورة المجادلة: 1.

Surah al-Mujadalah: 1.

[19] التحرير والتنوير: 6/28.

Al-Tahreer wa Tanveer, v6, p28.

[20] طنطاوي محمد سيد، التفسير الوسيط، دار نهضة للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة، 243/14.

Tanta`vi Muhammad Syed, al-Tafseer al-Waseeth, Da`ar Nahza Egypt, v14, p243.

CC BY

[21] سورة النساء: 34.

Surah al-Nisa`a: 34.

[22] تفسير الطبري، 8/291.

Tafseer al-Tibari, v8, p291

[23] الجصاص أحمد بن على، أحكام القرآن، دار الكتب العلمية بيروت لبنان،1994م، 149/3.

Al-Jassa`s Ahmad bin Ali, Ahka`am ul Qur`an, Da`ar al-Kutub al-Ilmeyya Beurut, 1994, v3, p149

[24] سورة الأنفال: 64.

Surah al-Anfa`l: 64.

[25] التحرير والتنوير: 10/66.

Al-Tahreer wa Tanveer, v10, p66.

[26] الدرّ المنثور، 200/3. وتفسير البغوي، 3/40.

Al-Du`rr al Mansour, v3, p200. Tafseer Al-Bagh`vi, v3, p40

[27] سورة التوبة: 84.

Surah al-Tawba: 84.

[28] ايضاً: 80.

Ibid:80

[29] الدرّ المنثور، 3/266. التفسير الطبريّ، 14/407. تفسير ابن كثير، 2/378. تفسير لباب التأويل في معاني التنزيل، 3/107.

Al-Du`rr al Mansour, v3, p266. Tafseer al-Tibari, v14, p407. Tafseer ibn Kathir, v2, p378. Tafseer Luba`ab al-Ta`veel fi Ma`ani al-Tanzeel, v3, p107

[30] تفسير الطبريّ، 14/410. وتفسير الخازن، 3/108.

Tafseer al-Tibari, v14, p410. Tafseer al-Khazin, v3, p108

[31] الزجاج، معاني القرآن وإعرابه 2/463.

Zaj`aj, Ma`ani al-Qur`an wa Irabihi, v2, p463

[32] سورة التحريم: 1.

.1Surah al-Tahreem:

[33] تفسير مفاتيح الغيب، 30/569، تفسير العز بن عبد السلام، 3/334، تفسير النسفي، 3/503.

Tafseer Mafatheeh ul Gh`yaib, v30, p569. Tafseer al-Izz` bin Abdul Salam, v3, p334, Tafseer al-Nasafi, v3, p503

[34]تفسير ابن كثير، 8/159.

Tafseer ibn Kathir, v8, p159.

[35]سورة البقرة: 104.

Surah al-Baqarah: 104.

[36]السمر قندي، بحر العلوم، 1/80، ابن أبي زمنين، تفسير القرآن العزيز، 1/166، الماوردي، تفسير النكت والعيون، 1/169، تفسير الراغب الأصفهاني، 1/218.

Al-Samar Qandi, Bahrul Ulum, v1, p80. Ibn Abi Zamneen, Tafseer al-Qura`n Al Aziez, v1, p166. Al ma`wardi, Tafseer al Nukat wal Oyoon, v1, p169, Tafseer Raghib Asfahani, v1, p218

[37]في ظلال القرآن،1/100-101.

Fi Zil`l ul Quran, v 1, p 100-101.

[38]الواحدي، أسباب النزول ، ص 33-34.

Al Wahidi, Asba`ab al- Nuzul, p33-34

[39]سورة آل عمران: 12.

Surah A`ali Imra`n: 12.

[40]تفسير زاد المسير، 1/262، ومفاتيح الغيب، 7/154، تفسير البيضاوي، 2/7، تفسير ابن كثير، 2/15.

Tafseer Za`ad al Maseer, v1, p262. Mafateeh ul Ghy`aib, v7, p154. Tafseer al-Bezavi, v2, p7. Tafseer ibn-e-Kathir, v2, p15

[41]سورة المائدة: 90.

Surah al-Ma`aida: 90.

[42]ايضاً: 93.

Ibid: 93

[43]سورة المسد: 1.

Surah al-Masad: 1.

[44]تفسير الطبري، 24/679، وتفسير مفاتيح الغيب، 32/349، وتفسير البيضاوي، 3/345، وتفسير الجلالين، 1/825.

Tafseer al-Tibari, v24, p679. Mafateeh ul Ghy`aib, v32, p349. Tafseer al-Bezavi, v3, p345. Tafseer al-Jalalya`n, v1, p825

[45] الوسي شهاب الدين السيد محمود، تفسير روح المعاني، دار إحياء التراث العربي بيروت، 2002م، 30/ 265.

Alusi Shahab u Din Al-Syed Mehmood, Tafseer Rooh ul Ma`ani, Da`ar Ihya Tura`as Al- Arabi Beurut, 2002, v30, p265